التقيت بأحد أبناء رشيد الكرام الأستاذ فؤاد نور المحامى فحمدت رفقته وحمدت السرى فى ظله ، زرنا المنازل الأثرية فهذا بيت (الأماسيلى) كان يملكه حاجب المحكمة الأهلية فابتاعته مصلحة الآثار ولكنه مقفل فلا دليل يقف ببابه للمسترشدين ، ولا نشرة توزع بما يجب للبناية الأثرية من بيانات ، ولا « كارت بوستال » يباع — حاوياً صوره الداخلية

والبيت من داخله تحفة فنية وفيه متعة وشغل للبصر والبصيرة ، بنى فى ٢٨ شوال سنة ١٢٢٣ هجرية وقل أن تجد من يعنى بتأريخ البناء إلا فى السنوات الأخيرة

وأعجب ما ترى فيه « مقصورات » شبيهة بالألواج التى نراها اليوم بالمسارح أعدت لجلوس السيدات ليشهدن مجالس الغناء وتسمى « الأغانى » أضافة إلى الغرض منها

وقفت إذن : أن هذا البيت قد شهد موقعة النصر وأنه شاهد أمين عليها ، وقفت به طويلاً وقلت : ما يؤلمنى أن أكون وحيداً ولا أن يرافقنى رهط قليل مادمنا نقوم بما نعلم من واجب ، فغداً يزور رشيد آلاف وغداً يكون الاحتفال عاماً ، ولاضير أن نبدأ قلة وقد نعلم أن (واشنجتون) عد فى وقت مجنوناً ، وأنه لم يخل من تآمر حرسه عليه ، وهو اليوم ، وفكرته اليوم متجه الأنظار للأمريكان جميعاً

ليس فى رشيد فندق لائق . وقد أعد يونانى مطعماً منذ سنوات قليلة فقاطعه أهل البلد حتى لم يجد مناصاً من اغلاقه وهجرة البلد

كل دار أحق بالأهل إلا فى خبيث من المذاهب رجس

ولكن هذا الميدان الذى خلا أليس من أهل البلد من يملؤه ؟ أولئك الذين كتب عنهم الجنرال سنيورات الى القائد فرزيه فى ٣١ مارس سنة ١٨٠٧ يقول : « إن الأهالى لا يعبأون بالمصائب برغم ما أحدثنا بالمدينة من تخريب حتى بلغ ما أطلقناه من القنابل من المدافع البعيدة المرى وحدها ٣٠٠ قذيفة »

على أحفاد أولئك الكرام أن يحتفلوا بذكرى أجدادهم ويمجد بلدهم . وعليهم أن يسدوا كل ثغرة ، ولعلنا نقتبس الرشد عما قريب عن رشيد

الشيخ عطا

محمد محمود جلال
المحامى

فلسفة موسى بن ميمون

ومصنفه « دلالة الحائرين » (١)

بقلم اسرائيل ولفنسون

أستاذ اللغات السامية بدار العلوم

عن النوفيل ليتريير

إذا كانت مدونات موسى ابن ميمون التشريعية قد صنفت لابناء الثقافات اليهودية قبل كل شىء ، وإذا كانت البحوث التى وردت فيها لا تتجاوز حدود الدين وأدب الدين والتشريع الاسرائيلى فان كتاب دلالة الحائرين يشغل ناحية أخرى من التفكير الانسانى ، هى الناحية الفلسفية والمنطقية ، أو الناحية الانسانية العامة التى كانت تشغل بال المفكرين ورجال الفلسفة فى ذلك العهد

وقد اعتمد موسى بن ميمون فى أثناء تأليف كتابه « دلالة الحائرين » على المصادر العربية التى كان له بها إلمام يندر أن يكون فى شخص آخر من أحبار اليهود فى القرون الوسطى ، كما كانت له دراية تامة بمؤلفات اليهود باللغة العربية ، ومع أنه لم يسرد أسماء المؤلفين إلا فى أحوال نادرة فان نظرياتهم تتكرر فى كثير من فصوله فى كتابه « دلالة الحائرين » إذ يسرد آراء سعديا الفيومى (٢) و تخيا (٣) وسليمان بن جبيرول (٤) ويهودا هالوى (٥) وابرهيم بن

(١) فصل من كتاب عن موسى بن ميمون تحت الطبع

(٢) راجع كتاب دلالة الحائرين ج ١ فصل ٦٥ ، ج ٢ فصل ٦٣ ، ج ٣ فصل ١٧ (٣) ج ١ فصل ٥٩ ، ج ٣ فصل ٨

(٤) ج ٢ فصل ٤٢ (٥) ج ١ فصل ٥٢

حيا[١] وابرهيم بن داود[٢] وابرهيم بن عزرا[٣]

وكذلك كانت له دراية بآداب اليهود القرائين[٤]

أما الفلسفة اليونانية فكان يعرفها من التراجم العربية شأن غيره من الفلاسفة فى البلدان الاسلامية وهو متأثر قبل كل شيء بارسطاطاليس الذى يراه رئيس الفلاسفة ، يجله إجلالاً عظيما إذ يقول : « وكل ما قال ارسطاطاليس فى جميع الوجود الذى من لدن فلك القمر الى مركز الأرض هو صحيح بلا ريب ، ولا يعدل عنه إلا من لم يفهمه ، أو من تقدمت له آراء يريد الذبّ عنها ، أو تقوده تلك الآراء لانكار أمر مشاهد . . . »[٥]

وكان قد درس كتاب الأخلاق لأرسطاطاليس من ترجمة إسحق بن حنين كما علم نظرياته من شروح يونانيـة مترجمة الى العربية مثل اسكندر الأفروديسى[٦] وثامستيدس[٧] ويحيى النحوى (Gohannes Philapone)[٨]

وكذلك وصلت اليه نظريات ارسطاطاليس بوســـاطة المصنفات العربية مثل الغزالى[٩] وابن باجه أبو بكر بن الصائغ[١٠] وابن الطفيل[١١] والفارابى[١٢] وآراء المتكلمين[١٣] ، وكذلك أدمج فى « دلالة الحـائرين » بعض النظريات لبطليموس[١٤] وجلينوس[١٥] اليونانيين

وكذلك ورد فى دلالة الحائرين بحث فى منزلة المعـــتزلة والأشعرية[١٦] ممـا يدل على أنه درس المذاهب الاسلامية دراسة وافية

(١) ج ٢ فصل ٤٥ (٢) ج ١ فصل ٥٢ ، ج ٣ فصل ٣٣
(٣) ج ٣ فصل ٢٠ (٤) ج ١ فصل ٧١
(٥) ج ٢ فصل ٢٢ (٦) ج ١ فصل ٣١ ، ج ٢ فصل ٣ وفصل ١٥ وفصل ٢٢ (٧) ج١ فصل ٧١ (٨) ج ١ فصل ٧١
(٩) راجع هامش الترجمة الفرنســية لدلالة الحائرين للعالم فونك le Guide des Egarés de Maimonides publié par S. Munk Paris 1856 — 1866 ج١ ص ٢٠٨ ، ٢٤٥ ، ٣٨٣ ، ٣٩٢
(١٠) ج ١ ص ٢٧٨ ، ٤٣٤ ، ج ٢ ص ٨٢ ، ١٨٥ ، ٢٨٦ ، ج ٣ ص ٢٢٢ ، ٤٣٨ (١١) ج ١ ص ١٢ ، ٣٥٨ .
(١٢) ج ١ ص ١٩٣ — ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٤٠٤ ، ٤٣٨ ، ج ٢ ص ١٢٨ ، ١٣٩ ، ٢٥٩ ، ج ٣ ص ١٣٩ (١٣) ج ١ ص ٥ ، ١٨٥ ، ٣١٣ — ٣١٦ ، ٣٣٦ — ٣٥٢ ، ٣٧٥ — ٤٥٩ ج ٢ ص ١١٨ ، ١٢٨ ، ج ٣ ص ٥٨ — ٥٩ (١٤) ج ١ فصل ٧٢ ج ٢ فصل ١٣ ج ٣ فصل ١٢ (١٥) ج ١ فصل ٧٢ ج ٢ فصل ١٣ ج ٣ فصل ١٢ (١٦) ج ١ فصل ٧١

وكان السبب الباعث فى نشر كتابه دلالة الحائرين الحاح تلميذه يوسف بن عقنين عليه ، ويقول موسى بن ميمون فى مقدمته الى تلميذه : أيها التلميذ العزيز ، لما مثلت لديّ وقصدت الىّ عظم شأنك عندى لشدة حرصك على الطلب ، ولما رأيت فى أشمارك التى وصلتني وأنت مقيم بالاسكندرية من شدة الاشتياق للأمور النظرية ، وقبل أن أمتحن تصورك قلت لعل شوقه أقوى من إدراكه ، فلما قرأت علىّ ما قرأته من علم الهيئة وما تقدم لك مما لابد منه ، زدت بك غبطة لجودة ذهنك ، وسرعة تصورك ، ورأيت شوقك للتعليم عظيما فتركتك للارتياض فيه لعلمى بتآلك ولما قرأت علىّ ما قد قرأته من صناعة المنطق تعلقت آمالى بك ، ورأيتك أهلاً لأن تكشف لك أسرار الكتب النبوية حتى تطلع منها على ما ينبغى أن يطلع عليه الكاملون ، فأردتُ أن ألوّح لك تلويحات وأشير لك بإشارات ، فرأيتك تطلب منى الازدياد وأن أبين لك أشياء من الأمور الالهية وأن أخبرك بمقاصد المتكلمين وطرائقهم . . . وآمرك أن تأخذ الأشياء على ترتيب قصداً منى أن يصح لك الحق بطرقه لا أن يقع اليقين بالعرض ؛ ولم أمتنع طول اجتماعك بى إذا ما ذكر نص من نصوص الحكماء فيه تنبيه على معنى غريب من تبيان ذلك لك ، فلما قدر الله بالافتراق ، وتوجهت الى حيث توجهت أثارت منى تلك الاجتماعات عزيمة كانت فترت وحركتنى غيبتك لوضع هذه المقالة التى وضعتها لك ولأمثالك ، وقليل ماهم ، وجعلتها فصولاً منثورة وكل ما أكتب لك منها يصلك أولاً فأولاً ودمت وأنت سالم . . .[١]

ولم يقصد موسى بمصنفه هذا الجمهور أو المبتدئين بالنظر ، بل كان نصب أعينه « جماعة الذين أخذوا أنفسهم بالكمال الانسانى وإزالة هذه الأوهام السابقة من سن الطفولية »[٢] أو إنه « ما ألف الكتاب إلا لمن تفلسف وعرف ما قد بان من أمر النفس وجميع قواها . . . . . »[٣] أو « لمن هو كامل فى خلقه ودينه ونظر فى علوم الفلسفة وعلم معانيها . . . . . »[٤]

أما عن غرض تأليف دلالة الحائرين فيقول المؤلف : ما كان الغرض نقل كتب الفلاسفة . . .[٥] وما كان قصدى أن أؤلف

(١) ج ١ ص ٢ (٢) ج ١ فصل ٦
(٣) ج ١ فصل ٦٨ (٤) ج ١ صدر الجزء الأول ص ٣
(٥) ج ٢ صدر الجزء الثانى ص ٤

شيئاً فى علم الطبيعة ، أو أن ألخص معانى العالم الالهى على بعض المذاهب ، أو أبرهن على ما يبرهن منها ، أو أن أقتضب هيئة الأفلاك ، ولا أن أخبر بعددها إذ الكتب المؤلفة فى جميع ذلك كافية ، وإن لم تكن كافية فى غرض من الأغراض فليس الذى أقوله أنا فى ذلك الغرض أحسن من كل ما قيل ، وإنما كان الغرض بهذه المقالة أن أبيّن مشكلة الشريعة وأظهر حقائق .(١)

ويقع الكتاب فى ثلاثة أجزاء ، يشتمل كل جزء على فصول أو موضوعات ، وعلى كبر حجم الكتاب وتنوع موضوعاته فان ما ورد فيه من النظريات يتدرج تدرجاً منطقياً محكماً من قضية إلى أخرى ، فكأن جميعها سلسلة واحدة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً

والهدف الأسمى الذى يرمى إليه موسى بن ميمون هو أن يلقى أشعة من أنوار الفلسفة والمنطق والعقل على الأيمان والشعور « العقل الفائض علينا هو الصلة بيننا وبين الله تعالى . . . »(٢) وهو يقصد التوفيق بين الدين والفلسفة « الحكمة المقولة باطلاق فى كل موضوع هى الغاية هى إدراكه تعالى »(٣) ، كما يقصد التوفيق بين موسى كليم الله وأرسطاطاليس شيخ الفلاسفة حتى ينظر العالم الى الدين عن طريق الفلسفة ، وحتى يطلب الحق والعرفان لا فى أفق الدين وحده ، بل فى ميدان العقل والمنطق أيضاً ، وقد رفع بذلك الفلسفة والفلاسفة إلى مصف واحد مع الدين وكبار مفكرى الدين

ويبحث الجزء الأول من دلالة الحائرين فى ماهية الله وكيفية إدراكه وتوحيده ، كما يدخلنا فى الكتاب المقدس عن طريق الفلسفة والمنطق ، ويفتح الكتاب بمحاربة عنيفة كل ما يقصد من الأوصاف المادية المنسوبة لله ، فيشرح الآية « نصنع إنساناً على صورتنا وشبهنا »(٤) إن الناس قد ظنوا أن لفظ صورة فى اللسان العبرى يدل على شكل الشيء وتخطيطه فيؤدى ذلك إلى التجسيم المحض ، ورأوا أنهم إن فارقوا هذا الاعتقاد كذبوا النص . . . وأما صورة فتقع على الصورة الطبيعية ، أعنى على المعنى الذى يجوهر الشيء بما هو وهو حقيقته من حيث هو ذلك الموجود المعنوى ، هو الذى عنه يكون الادراك الأنسانى .. فيكون المراد من الصورة الصورة النوعية التى هى الادراك العقلى لا الشكل والتخطيط . . .(١)

وإدراك الآله عنده على الطريقة السلبية لا الايجابية ، فانه يقول : « اعلم أن وصف الله عز وجل بالسوالب هو الوصف الصحيح الذى لا يلحقه شئ من التسامح ، ولا فيه نقص فى حق الله تعالى جلة ولا على حال ، أما وصفه بالايجابيات ففيه من الشرك والنقص . . . »(٢)

ويبحث الجزء الثانى فى مشاكل وجود الله وتوحيده وروحانيته وما يرى الفلاسفة فى الكون إذا كان قديماً أو « محدثاً » ، ومع أن موسى بن ميمون من أشد أنصار أرسطاطاليس فى مسألة قدم الكون يحاربه محاربة عنيفة ، لأن الأخذ بقدم الكون ينفى ما ورد فى التوراة من أن الكون محدث ، ويقول موسى بن ميمون بعد بحث طويل فى هذه المشكلة إن كل ما ذكره أرسطاطاليس وأتباعه من الاستدلال على قدم الكون ليس له براهين قطعية ، بل لها حجج تلحقها الشكوك العظيمة . . .(٣)

ثم يبحث فى النبوة وماهيتها ودرجاتها وتعريفها عند رجال الدين من الملل المختلفة وعند أصحاب المدارس من الفلاسفة

ويشغل البحث فى النبوة أغلب فصول الجزء الثانى وهو من أرقى ما وصل اليه التفكير اليهودى الفلسفى فى القرون الوسطى

أما الجزء الثالث فيتم موسى فى فصوله السبعة الأولى بحثه عن النبوة بشرحه رؤيا النبى حزقيال الذى ورد فى الفصل الأول والثالث من سفره من أسفار العهد القديم ، وكل ما ورد فيها من الاصطلاحات الموبصة والمعانى الغامضة

ثم ينتقل الى البحث فى الشر ، وما يحل من المصائب بالعالم وهل الانسان هو الذى يكون مسئولاً عما يقع من الكوارث على المخلوقين أم الله سبحانه وتعالى ، ثم ينتقل الى مشكلة العناية الالهية بالكون والمخلوقات ، وما يقول الفلاسفة من اليونان والمسلمين واليهود فيها

ثم يتعرض لأمور دينية فى الشريعة التى جاءت لصلاح النفس وصلاح البدن ، كما يشرح واجبات وعبادات وردت فى التوراة على الطريقة الفلسفية

(١) ج ٢ فصل ٢ ص ١١ (٢) ج ٣ فصل ٥٢ ص ١٣٠
(٣) ج ٣ فصل ٥٤ ١٣٤ (٤) سفر التكوين الفصل الأول آية ٢٦

(١) ج ١ فصل ١ ص ١٢ (٢) ج ١ فصل ٥٨ ص ٧٠
(٣) ج ٢ فصل ١٦ ص ٣٤